فؤاده الطاهر، فجلس يتفكر فى أمره، ويستعرض ظروفه وأحواله؛ فبدا له الموقف أشدَّ ما يكون قسوة، وأعظم ما يكون حرجًا، وأحوج ما يكون إلى مدد من العون الإلٰهى، وقَبَس من النور السماوى، الذى تنكشف به الظلمات، وتنفرج به الكروب.. لقد تنكرت له قريش حتى ضاقت به وضاق بها، وانقطع أمله فى أن تؤمن بالله ورسوله، فجاء يَنشدُ الأمل والنُّصرة فى ثقيف، فكان موقفها منه ومن دعوته أشدَّ وأنكى من موقف قريش. وها هم أولاء يخرجونه من ديارهم أقبح إخراج، ويطردونه أشنع طرد، وها هو ذا طريد شريد، لا يكاد يطمئن على نفسه حتى يؤدى أمانته، ويبلغ رسالته.. لقد أنكرته ثقيف كما أنكرته قريش، وانقطع أمله فى هؤلاء الرحم وفى أولئك العشيرة؛ وإذا كان هؤلاء وأولئك قد أنكروه، وهم رَحِمه وعشيرته، وأولى الناس به، فهل يطمع فى نُصرة من دونهم من القبائل والعشائر؟

لكن الله الذى كرمه بهذه الرسالة، ووعده عليها النصر والتأييد، لا يمكن أن يخلف وعده؛ فإذا كان الأهل والعشيرة قد جفوه وأنكروه، فإن الله لن يتخلى عنه، وهو وحده القادر على أن يجعل له من هذه الشدة مخرجًا، ومن هذا الضيق فرجًا..!.